

تاريخ الإرسال: 2020/06/20 تاريخ القبول: 2020/10/29

تاريخ النشر: 2021/10/11

الكنيسة والاستعمار الأوروبي لإفريقيا جنوب الصحراء The church and the european colonization of sub-saharan Africa

غانم العربي
جامعة تبسة (الجزائر) ؛ L.ghanem@univ-tebessa.dz

الملخص:

تعرضت القارة الإفريقية لظاهرة الاستعمار الأوروبي الحديث بعد نجاح الثورة الصناعية مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، والتي فرضت البحث عن الأسواق الاستهلاكية والمواد الأولية الزراعية منها والمعدنية، وكذا استثمار رأس المال المتراكم في البنوك، فكانت الأنظار صوب القارة الإفريقية القريبة جغرافياً والواسعة الأسواق والغنية بالثروات.

ولتحقيق ذلك، استعانت القوى الاستعمارية بالشركات الاستثمارية العملاقة والكنيسة وإرسالياتها التبشيرية والرحالة والمستكشفين من أجل تحقيق وإنجاح الظاهرة الاستعمارية واستمرارها.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار، الكنيسة، الإرساليات التبشيرية، الإنجيل، الوثنية، التخلف

Abstract:

The African continent was subjected to the phenomenon of modern European colonialism after the success of the industrial revolution at the beginning of the nineteenth century , which imposed a search for consumer markets and primary

agricultural and mineral valleys, as well as the investment of accumulated capital in banks, so the attention was directed towards the African continent, which is geographically close to the vast markets and rich in wealth.

To achieve this, the colonial powers used the giant investment companies, the church, its missionary missions, travelers, and explorers in order to achieve and make the colonial phenomenon successful and sustainable.

Key words: Colonialism, the Church, Missionary Missionaries, the Bible, Paganism, and Backwardness.

المؤلف المرسل: غانم العربي، الإيميل: L.ghanem@univ-tebessa.dz

مقدمة:

عرّفت الكنيسة نفسها منذ فجر تأسيسها على أنها مجمع روحي عام، يلتقي فيه الشرق والغرب تحت لواء المحبة والإيمان، وعلى أنها أول رسالة وأصدقها عن الأخوة الإنسانية تتبثق عن المثل الذي قدمه يسوع الناصري (عليه السلام) بتحملة الآلام والموت فداء للإنسانية المعذبة، وبمعنى آخر فالكنيسة دين جامع قائم على المحبة والصدق والسلام بين بني البشر.

وبالمقابل يعرف الاستعمار على أنه قبل كل شيء نظام قائم على الظلم والقتل والنهب والسلب والخداع المنظم، بمعنى آخر فالاستعمار هو تبعية شعب لآخر تبعية مقصودة يراد بها الإبقاء على السيطرة أطول مدة ممكنة باستخدام القوة والاستغلال المفرط لقدرات الإنسان وخيرات الأرض. وبناء عليه فهناك خلاف وتناقض كبير في مختلف الوجوه بين الكنيسة والاستعمار، لكن إذا استقرأنا تاريخ إفريقيا المعاصر بوجه عام وجنوب الصحراء بوجه خاص ألا يمكننا أن نجد العديد من المعطيات التي تخالف ذلك؟

يرجع وجود المسيحية في إفريقيا إلى عصور المسيحية المبكرة، ثم توسعت وانتشرت تبعا للمراحل التالية:

-**المرحلة الأولى:** تعرف بالمسيحية الأولى أين انتشرت المسيحية في شمال وشرق إفريقيا¹ عن طريق تلامذة المسيح عليه السلام، وكان من أبرزهم مرقس²، وضمت مصر وإثيوبيا، ثم أرتيريا وبلاد المغرب القديم، حيث ظهرت الكنيسة القبطية في مصر وكنيسة التوحيد الأرثوذكسية في كل من اثيوبيا وارتييريا والمجتمعات المسيحية الأمازيغية القديمة.³

-**المرحلة الثانية:** ويمكن تحديدها مع بداية القرن 15 م حينما احتل البرتغاليون سبتة المغربية في 21 أوت 1415م، أيام الملك جوا الأول، أحد ملوك أسرة أفيز Aviz، الذي أصدر أمره بالغزو والتوسع.

ونشط بعدها هنري الثالث (الابن الثالث لجوا) عمليات التوسع في المحيط الاطلسي بحثا عن طريق يربط المحيط الاطلسي بالبحر الأحمر، و ذلك طمعا في ذهب إفريقيا من جهة، ثم حصر المسلمين من الشمال و الجنوب بدول مسيحية من جهة ثانية⁴.

وتوالى المحاولات الجادة للبرتغال لتحقيق ذلك منذ سنة 1418م بالوصول إلى مركز "ماديرة" ثم جزر "الأزور" سنة 1444م، و في سنة 1497م تمكن "فاسكو دي غاما" من الدوران حول الرأس الذي أصبح يعرف ب"رأس الرجاء الصالح" و منه إلى الهند، وجزر الهند الشرقية، و بدأت بعد ذلك البضائع الشرقية تصل للبرتغال⁵، ومعها الزنجي الإفريقي الذي كان يتم قنصه باسم المسيح والقديسين ذلك أنه صدر مرسوم بابوي سنة 1455م اعتبر غير النصارى كفارا ينبغي إزلالهم واسترقاقهم، فكانت عمليات القنص والاسترقاق تتم والأوروبيون يهتفون "القديس جورج، القديسة ياجور"، ورسخت البرتغال قدميها في إفريقيا باحتلال غينيا أنغولا والموزمبيق، ثم

لحقت بها كل من هولندا وانجلترا وفرنسا وغيرها بالبرتغال، وتعرضت القارة لأبشع صور استغلال الإنسان للإنسان باسم الدين والحضارة.⁶

-**المرحلة الثالثة:** رغم المرحلتين السابقتين لم تتوسع الديانة المسيحية، ولم تنتشر كثيرا في القارة الإفريقية، إلى أن جاءت هذه المرحلة التي عرفت انتشارا واسعا وتأثيرا كبيرا وقويا على المجتمع الإفريقي من خلال ما عرف بالدور الثالث الذي كان منتصف القرن 18م، لارتباطه الوثيق بالظاهرة الاستعمارية والتهافت الاستعماري على القارة الإفريقية The Scramble for Africa بين انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا.⁷

ومعه أخذت جماعات المبشرين "الكاثوليك والبروتستانت" على حد سواء تتسابق للاحتلال الروحي، وتتخذ لها مناطق نفوذ لتساعد النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي لبلدانها؛ فظهرت الكنيسة البريطانية لإفريقيا والغرب سنة 1799م ومقرها لندن لتشجيع المبشرين وتزويدهم بما يحتاجونه، ليقوموا بالتبشير العلني والدعوة للمسيحية، وكانت ذات ارتباط وثيق بالدولة البريطانية والأسرة المالكة توسع نشاطها في جنوب القارة وشرقها.⁸

كما أن غرب القارة عرف نشاطا متزايدا ومتسارعا منذ 1860م حين أخذت فرنسا تعمل على توسيع نطاق مستعمراتها، وفتحت الباب أمام الإرساليات التابعة لها خاصة جمعية سيدة إفريقيا 1868م ("جمعية الآباء البيض" مركزها بالجزائر)، ثم تبعتها بريطانيا سنة 1869م باعتماد نفس الأسلوب الفرنسي خاصة في منطقة لاغوس بنجيريا، وامتد نشاط بعثة الكنيسة البريطانية حتى النيجر بقيادة الأسقف كروثر، كما لحقت بهذا النشاط المسيحي الإرساليات والمنظمات الدينية الأوربية الأخرى، كمنظمة الخدمات التطوعية الألمانية، الصليب الأحمر السويسري، المنظمة الكاثوليكية الكنيسية السويسرية الخيرية وغيرها.⁹

تدافعت الإرساليات والبعثات التبشيرية على القارة الإفريقية حاملة تعاليم المسيح ومعدية تخليص سكان القارة من وثنيها وتخلفها، واعتمدت في ذلك على جملة من الوسائل لكي تصل وتتغلغل في مختلف مناطق القارة، وبالموازاة مع ذلك قدمت خدمات جليلة لجيوش الاحتلال منها:

الاكتشافات العلمية والجغرافية للقارة:

في النصف الأول من القرن التاسع عشر (19 م)، كانت البعثات التبشيرية مركزة نشاطها على طول السواحل الإفريقية الغربية منها والشرقية، واقتصرت نشاط مجمع روح القدس 1848م على مناطق صغيرة في الغابون والكونغو الأسفل وجنوب إفريقيا، ولكي تتجح الجمعيات التبشيرية والحكومات الأوروبية¹⁰، كان لابد لها من متطوعين يكتشفون أعماق القارة أولاً، وفي هذه الأثناء برزت رحلات باريك رينهام وهوج كلابرتون Hugh Clapperton اللذين اكتشفا بورنو وبلاد الهوسا بين سنتي 1823-1825 بعد أن عبرا الصحراء الكبرى انطلاقاً من طرابلس وبدعم من الحكومة البريطانية، ودعمت الحكومة الفرنسية رحلة رينيه كالييه الذي انطلق من طنجة مروراً بالصحراء حتى تمبكتو 1827-1828 .

ثم لحقت الحكومة الألمانية بدعم رحلة كراب وريمان العضوين في جمعية إرساليات الكنيسة وكانا أول أوروبيين يشاهدان قمم كليمنجارو المغطاة بالثلوج¹¹ ، ثم لحق بهؤلاء الطبيب والمستكشف والمبشر الاسكتلندي دافيد ليفيجيستون (1813-1873) بداية من سنة 1853، والذي قام بعدة رحلات داخل القارة اكتشف جغرافيتها الطبيعية وثقافة أهلها وحضاراتهم ولغاتهم.

ولما حل عام 1856، كان قد عبر المنطقة من أنجولا على الساحل الغربي للقارة إلى موزمبيق على الساحل الشرقي لها، كما اكتشف شلالات فكتوريا وبحيرتها سنة 1859، وأنشأ مركزاً تبشيرية كبيراً على ساحل بحيرة يناسا، وكان قبل هذا وبين

سنوات 1841-1853 قد توغل داخل حوض نهر الزمبيزي، ودفع الأفارقة إلى اعتناق المسيحية، وأصبحت تقاريره العلمية والتبشيرية (أسفار مبشر وبحوثه) محل اهتمام في كل من أوروبا و أمريكا.¹²

التجارة والاستثمار:

دعا الزعماء السياسيون الغربيون ورجال المال نهاية القرن التاسع عشر إلى أن كل مبشر حتى لأكثر الشعوب بدائية يجب أن يهتم بالتجارة، وكل تاجر هو جمعة تبشيرية مركزة، إن المبشر يقدم للتجارة الفرصة والتوجيه، إنه يمنحها ميادين جديدة، ويساعدها بالمبادئ والخبرة التي بهما تستطيع أن تكون مفيدة ومستمرة، ففي أعقاب المبشرين جاء التجار والمستعمرون.

ولتوضيح هذه الرغبة، نورد هنا مثالين هامين لذلك:

* - الأول يتعلق بألمانيا وتجارها ومبشريها الذين انطلقوا من الشهادة المأثورة للأمير بيسمارك "إن المبشر والتاجر يجب أن يسبقا الجندي".¹³ وهذا يعني أن بعثات التبشير والتجار يمثلون طلائع المقدمة لتمهيد الطريق للنفوذ الألماني في إفريقيا. وبحلول سنة 1840، تمكن المبشر الألماني فون شميلن Von Schemelin وبمساعدة جمعية تبشير "رينيش Rhenish الألمانية" من إطلاق عملية التبشير والاتجار في جنوب غرب إفريقيا، وذلك بإنشاء محال تجارية متصلة بمراكز التبشير لتوفير المال لرجال الدين، وبالمقابل يتحصل الأفارقة على السلع والملابس والسلاح والذخيرة والخلوى وبيع ماشيتهم؛ وبدأت عملية التقارب التجاري هذه تساعد المبشرين على نشر المسيحية بين السكان الأفارقة البسطاء.¹⁴

تزايد عدد الأوروبيين وزاد نفوذهم التجاري وانتشرت السلع الحديثة وزادت الأرباح، مما دفع بجمعية مبشري رينيش Rhenish الألمانية إلى تأسيس شركة تجارية سنة 1873 تشتغل في التبشير وإعانة المبشرين، ثم ما لبثت أن تحولت هذه

الشركة إلى الشركة الاستعمارية الألمانية لجنوب غرب إفريقيا سنة 1885 تحت قيادة التاجر الألماني أ.لودريتزر A.Luderitze والمبشر كارل بتنر Carl Buttner برأس مال قدره 300 ألف مارك ألماني.¹⁵

* - أما المثال الثاني فيتعلق بتجار بريطانيا ومبشريها، هؤلاء الذين كانوا في الحقيقة في صراع كبير مع الألمان على جنوب القارة الإفريقية. ومن بين أبرز الأسماء المبشر والتاجر روبرت لويس Robert Louis والمستثمر المستعمر سيسيل رودس¹⁶ Cecil Rhodes ابن رجل الدين "وليم رودس"، جاء إلى جنوب إفريقيا منذ 1870 وبدأ نشاطه في ممارسة الزراعة ثم اتجه إلى حرفة التعدين خاصة بعد اكتشاف معدن الألماس سنة 1870 بمنطقة "كيمرلي"، وهي السنة التي وصل فيها رودس إلى جنوب إفريقيا فأسره هذا الخبر، ثم اكتشف معدن الذهب بعد ذلك سنة 1886 في منطقة الترانسفال، وبحلول سنة 1890 بلغت قيمة صادرات هذين المعدنين معا قرابة 20 مليون جنيه استرليني¹⁷، وهي قيمة تفوق قيمة صادرات جميع المواد الأخرى بكثير.

مما جعل رودس يحرض الحكومة البريطانية على توسيع احتلالها لهذه المناطق الغنية جدا بالمعادن الثمينة، ويستعين في ذلك بروبرت لويس الذي كان يرسل تقاريره عن ضرورة نشر المسيحية بين السكان غير البيض إلى الجمعية التبشيرية اللندنية The London Missionary، ويدعوها إلى إرسال البعثات التبشيرية إلى المنطقة التي أصبح يقصدها العديد من العمال غير البيض، وهي فرصة سانحة لنشر تعاليم المسيحية بين هؤلاء؛ وبالفعل قاد القس الهولندي جوهانزفان در كيمب Johannesvan der Kemp إرسالية الجمعية التبشيرية اللندنية إلى جنوب إفريقيا حيث عمل على استمالة قبائل الهوتنتوت والبانطو الإفريقية وانتقد أعمال القسوة التي كان يمارسها البوير أبناء جلدته على هذه القبائل.¹⁸

وفي سنة 1887، أسس رودس شركة استغلال معادن الذهب بالذات في جنوب إفريقيا، وكان يهدف من وراء هذا النشاط الاقتصادي إلى تحقيق هدفين أولهما عقد اتفاقيات مع الزعماء الأفارقة والشركة وبالتالي وسيلة تدخل في شؤونهم وباب للاستعمار ونشر الدين المسيحي بين السكان الأصليين، والثاني زيادة أرباح الشركة قصد إنجاز سكك حديد تمكنه من الوصول إلى مناطق الثروات الطبيعية لنقلها بسرعة وبكميات كبيرة وبيعها في الأسواق العالمية، ما يعني زيادة الأرباح و توسيع الاستثمارات والازدهار التجاري والاقتصادي لشركته والحكومة البريطانية وتوسعها الاستعماري، وكذلك خدمة الجمعية التبشيرية اللندنية التي كانت تدعم النشاط الذي كان يقوم به.¹⁹

الإعلام والترفيه:

استغل هذا المجال في توسيع نشاط كل من الاستعمار والتبشير في القارة الإفريقية على حد سواء وبشكل واسع، فكانت الإذاعات منتشرة في أماكن مختلفة من إفريقيا وتخطب الأفارقة بلهجاتهم وكذلك بلغات المحتل، والهدف هو نشر تعاليم المسيحية ومقاطع من مضامين الأنجيل ومواضيع مختلفة كلها في قالب مسيحي وفي نشرات متتالية.²⁰

يضاف إلى ذلك أشرطة الكاسيت الي تضمنت تسجيلات الأنجيل الأربعة التي ترجمت إلى حوالي 500 لغة ولهجة إفريقية، وطبع الكتب المفسرة للأنجيل والداعمة للدين المسيحي ككتاب "الصليب في الإنجيل" و"شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن" وغيرهما؛ هذا إلى جانب الجرائد والمجلات العديدة التي كانت تنشر وتوزع على السكان الأصليين في جل مناطق القارة، وفي الغالب بدون مقابل، وجميعها وسائل قوية في عملية التنصير، ما يجعلنا ندرك قوة الإعلام التنصيري الذي كان يتلقى الدعم المالي والمادي من الشركات والدول الاستعمارية لأنه يوصل

الإفريقي في النهاية إلى الإذعان والخضوع والاستسلام وقبول الاستعمار والاستغلال.²¹

وقد كتب المبشر الألماني "برينكر" الذي كان مستقرا في كنيسة "أوكاهانتا" بجنوب إفريقيا إلى حكومته في برلين ما نصه: "إنه لا فائدة إذن من إبرام الاتفاقيات وبذل الجهود، لأن هذه الاتفاقيات والحقوق لا يضمنها ويعطيها قيمتها إلا حجم القوة التي تكمن وراءها، لذا يجب أن تنشأ هنا قوة أوروبية تعاقب الأهالي على أعمال العدوان على مصالحنا وإنجازاتها، لذا أطلب منكم قوة من 400 جندي وبطارينتين لإنجاز أهدافي".²²

إلى جانب الإعلام، فإن وسائل الترفيه المتنوعة قد استغلت في العمل التبشيري، وركز رجال الدين المسيحيين جهودهم عليها، كبناء بيوت الشباب والنوادي الرياضية والفرق الكشفية و الجمعيات الثقافية ونشر الموسيقى والغناء بين الشباب والشابات، والهدف من كل هذا هو نشر الثقافة والنمط المعيشي الأوروبي، ثم بعد ذلك تعميم الشباب وتبدأ عملية بث الأفكار والمبادئ الكنيسية، ويعتق هؤلاء الديانة المسيحية وتتوسع عمليات التبشير انطلاقا من هذه المؤسسات، ونشط المبشرون الإنجليز والفرنسيون والهولنديون وغيرهم بنشر قصص القديسين والأبطال وأخبار الأب الذي في السماء وعن الابن الذي هبط إلى الأرض لاقتداء البشرية.²³

وبالتالي فالإفريقي الذي اعتنق المسيحية سيتاح له أن يتطور، ويتخلص من وثنيته وتخلفه، وكان التركيز أكثر على جنس الإناث لأن تأثيرهن كبير في المجتمع المحلي، فإذا اعتنقت المرأة الإفريقية المسيحية حتما سوف يلحق بها أبناؤها، لذا نلاحظ انتشارا واسعا واهتماما متزايدا بجمعيات الشباب المسيحيات الإفريقيات.²⁴

الصحة:

استغل القطاع الصحي من قبل الإرساليات التبشيرية والحكومات الأوروبية أحسن استغلال في نشر الديانة المسيحية في إفريقيا جنوب الصحراء، انطلاقاً مما كان يعانيه سكان القارة من آلام وأمراض، حيث عملت البعثات الطبية جنبا إلى جنب مع الإرساليات التصديرية، وفي غالب الأحيان في بعثة واحدة، ومثال ذلك الإرسالية التي بعثتها جمعية الحضارة الإفريقية Society of African Civilisation من قبل بريطانيا، وضمت إلى جانب المبشرين موظفين وعلماء وأطباء من مختلف التخصصات إلى غرب إفريقيا لدراساتها من مختلف الميادين.²⁵

وكان الطبيب على وجه الخصوص على اطلاع واسع بتعاليم المسيحية حتى يقدمها تزامناً مع العلاج، وقد اعترف أحد الأطباء بهذه الحقيقة، وهو الدكتور "S.A Morrison" "نحن متفقون بلا ريب لأن الغاية من أعمال العلاج التي نقوم بها في المستشفيات بين المرضى ضرورة لمعرفة ربنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية، يجب أن ننتهز فرصة العلاج في التعريف بالإنجيل لأن الطبيب أثنى الفرص على الإطلاق، ولعل الشيطان يريد أن يفتك بأن واجبك هو العلاج لا التبشير فلا تسمع منه".²⁶

والى جانب المستوصفات والمستشفيات التي لا تقارن بمثيلاتها في أوروبا، برز الأطباء المتجولون بين القرى والأرياف، وكان هدفهم هو نشر المسيحية وعقد اتفاقيات مع زعماء القبائل لتسهيل عملية الاحتلال والعلاج يستخدم كوسيلة فقط.

ولكنها وسيلة فعالة لأنها تصل إلى كافة مختلف فئات المجتمع، وكانت القاعدة الأساسية التي يعمل بها الأطباء والمبشرون تقوم على "حيث تجد بشرا تجد آلاما، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب المعالج، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب المعالج فهناك فرصة مناسبة جدا للتبشير، وعلى الطبيب أن يقدم

للمريض إذا انصرف من عيادته نسخة حسنة الطبع من الإنجيل ووصفة طبية خاطئة حتى يكتشف المريض أن الإنجيل هو الدواء".²⁷

هكذا استغلت الإرساليات التبشيرية والحكومات الاستعمارية الأوروبية هذا القطاع الهام من أجل خدمة مصالح الأوروبيين، واستغلال آلام الأفارقة لصالح النهب والاستعباد والاستعمار.

التعليم:

يعد التعليم من أكثر وسائل التغلغل الذي اعتمدت عليه الإرساليات التبشيرية وكذا الحكومات الاستعمارية في السيطرة على القارة نظرا لتأثيره المباشر على المجتمع الإفريقي، وقد سيطرت الإرساليات التبشيرية على التعليم في بداية الأمر ثم سخرته لخدمة الاستعمار.

وفي هذا الصدد، يقول الأب هنري جاسب "Henry Gasp" سنة 1870 "إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة لغاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح و تعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين ثم شعوبا مسيحية، لكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في حد ذاته ويكون علماء، فإننا لا نتردد أن نقول حينئذ أن الرسالة قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي، وهذا العمل لا تقوم به الجمعيات التبشيرية التي تسعى أهداف روحية فقط".²⁸

ومن هذا القول، فإن التعليم الذي تكفلت به في البداية البعثات التبشيرية كان تعليمًا متواضعا ارتكز على مناهج التعليم الأوروبية وعلى كتبها، والمدارس المتواضعة التي كانت تشيدها تلك البعثات، في حين كانت تتفق الأموال الطائلة في بناء الأبرشيات والكنائس، والمعلم كان هو في الأصل رجل الدين الذي يعمل على نشر لغة دولته ودينها، وكذلك تاريخها وثقافتها وقصص أبطالها ومنجزاتها، ولم

تدرس اللغات المحلية إطلاقاً، بل كان يمنع استخدام اللغة المحلية وحتى لدى الأطفال الصغار الذين كانوا لا يفهمون ولا كلمة من اللغات الأجنبية.²⁹

كل هذا كان الهدف منه هو إضعاف الروح القومية لدى الإفريقي وتقديس المستعمر، بل كان الأطفال يرددون أناشيد تمجد الدولة الاستعمارية، ومثال ذلك:

احكمي يا بريطانيا... احكمي يا بريطانيا الأمواج

فالبريطانيون لن ولن يكونوا عبيدا

و مثال آخر:

يا فرنسا إن يدك القوية ممدودة بالخير

لقد شفيت المرضى وأحققت الحق

نشرت بيننا ثقافتك الزاهرة

إن ماضيك المجيد فوق التاريخ

نحن أبنائك الفخوريين جدا بحمل اسمك الغالي

نريد أن نستحق شيئاً من مجدك³⁰

كما أنه كان يردد عند دخول الأبرشيات بعد تلاوة الإنجيل يطلب الكاهن من المؤمنين أن يصلو من أجل مسيحيي الأبرشية ومن أجل فرنسا؛ وكان السؤال لماذا فرنسا وليس البلد الإفريقي الذي ننتمي إليه ونعيش فيه؟

ولقد منعت الحكومات الاستعمارية الأفارقة من إقامة مدارس يشرفون عليها بأنفسهم، لأنها سوف تصبح بسهولة وبعد مدة زمنية قصيرة مواقع للعصيان والتمرد على البعثات التبشيرية والدول الاستعمارية معاً، ذلك أنه حينما اندلعت ثورة الماوماو في كينيا من أجل الأرض والتحرر ضد الاستعمار البريطاني، كان أول ما قامت به بريطانيا هو غلق العشرات من المدارس، سواء أكانت حرة أم تابعة للبعثات التبشيرية.³¹

كما أنه لا يجب أن يفهم من التعليم في إفريقيا أنه كان منتشرًا في أوساط السكان، لأن الإحصائيات التي ذكرت سنة 1955 بينت أن نسبة الأمية تراوحت بين 90 % و 95% بين الأفارقة البالغين في إفريقيا الاستوائية وإفريقيا الغربية والصومال، وحوالي 90 % في إفريقيا الوسطى، وما بين 75 % و 80% في باقي مناطق القارة. أما التعليم المهني والصناعي فهو منعدم، ما عدا القليل جدا في روديسيا واتحاد جنوب إفريقيا³²، وبالتالي فإن كل ما قامت به الإرساليات التبشيرية والحكومات الاستعمارية هو التأثير على تفكير الإفريقي وعلى روحه، بحيث يصبح من السهل اقتياده وإخضاعه ونهب و استنزاف خيراته وطنه، ثم إعداد جيل من الموظفين والعمال لملء الوظائف الشاغرة في إدارة المستعمرات والشركات الرأسمالية المنتشرة بكثرة فوق الأراضي الإفريقية.

خاتمة:

وتأسيسا على ما سبق، فإن القارة الإفريقية تعرضت لأشنع أنواع الاضطهاد والنهب والاستغلال، ما لم تتعرض له أي قارة أخرى في العالم، وكل ما قام به الغرب لفائدة شعوبها في الأصل هو خدمة لمصالحه، لإنهاء ظاهرة الاتجار بالأفارقة مطلع القرن التاسع عشر كان لأن القوى الاستعمارية الأوروبية حولت أنظارها إلى القارة الإفريقية، وبالتالي الاستعانة بهذه الجموع البشرية لنهب ثرواتها وتحصيل الأرباح بدلا من بيعها إلى أمريكا.

وما القول بتمدين القارة والقضاء على وثنياتها وتخلفها إلا تضليل وخداع، لأن الهدف الحقيقي هو إفراغ الإنسان الإفريقي من تراثه وانتمائه وقوميته، وجعله يقبل الخضوع والخنوع والتبعية المطلقة للمستعمر الذي استعمل كل الوسائل والأساليب لتحقيق أهدافه، بما في ذلك الديانة المسيحية التي استخدمتها الكنيسة وإرسالياتها التبشيرية كغطاء لاحتلال القارة ونهب ثرواتها وخيراتها (إلى اليوم)، واستعباد إنسانها

الذي ظل معرضا للتمييز والدونية، ما يعني أن الكنيسة والاستعمار هما وجهان لعملة واحدة.

5.المراجع

- 1- طارق أحمد عثمان، عبد الوهاب الطيب البشير: مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، ليبيا 2003، ص 55.
- 2- مرقس الإسكندري وهو مار مرقس صاحب ثاني إنجيل في العهد الجديد، والأنجيل الأربعة هي: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا و إنجيل يوحنا. توفي حوالي سنة 68 م بالإسكندرية. للمزيد أنظر EnsycloPAEDIA ، ترجمة فاطمة محمد محجوب، مراجعة محمد خليفة بركات، دار العلم، بيروت، 1984، ص52.
- 3- Augute Audollent , La diffusion du christianisme en Afrique au sud des territoires soumis à Rome, après le V^{ème} siècle, in : Comptes rendus des séances de l'académie des Inscriptions et Belles- Lettres, n° 4-6,1942, p210.
- 4- عبد العزيز الكلوت: التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط 2، طرابلس، ليبيا، 1992، ص50.
- 5- جيمس دفي: الاستعمار البرتغالي في إفريقيا، ترجمة الدسوقي حسنين المراكبي، مراجعة و تقديم محمد صبحي عبد الحكيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص 33.
- 6- محمد أحمد الطوير: تاريخ حركات التحرر في العالم خلال العصر الحديث في الوطن العربي و إفريقيا وآسيا و أوروبا والأمريكيتين، منشورات تانيت، الرباط، 1998، ص 162.
- 7- عمر فروخ، مصطفى الخالدي: التبشير و الاستعمار، ط 5، مطبعة وزارة التعليم، ليبيا، 1973، ص 58.
- 8- SORO Gnénéfolo Brahim : La mission évangélique allemande et le processus de transformation sociale des populations autochtones : Cas de l'Afrique orientale allemande (1884-1918), thèse de doctorat, 2017-2018, université Alassane Outtara, Côte d'Ivoire, p 226.
- 9- محمود السيد: إفريقيا والأطماع الغربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009، ص 37.
- 10- دونالد ويندر: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البدرابي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، 2001، ص 256.
- 11- عائدة موسى: العبودية في إفريقيا، مكتبة الشروق، الجزائر، 2009، ص 75.
- 12- عبد العزيز الكلوت: مرجع سابق، ص 124.
- 13- عائدة موسى: مرجع سابق، ص 80.
- 14- SORO Gnénéfolo Brahim , OPCIT, p 235

- 15- عائدة موسى: مرجع سابق، ص 81.
- 16- دونالد ويدنر: مرجع سابق، ص 121.
- 17- Jean François ZORN, Le temps long de la christianisation en Afrique, in : Afrique contemporaine, n° 252, 2014, p 133.
- 18- شوقي الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ت، ص 570.
- 19- دونالد ويدنر: مرجع سابق، ص 123.
- 20- عبد العزيز شلبي: الإرساليات التبشيرية، دار المعارف، الإسكندرية، د ت، ص 102.
- 21- أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي و الحاضر، مكتبة وهبة، القاهرة، د ت، ص 106.
- 22- عائدة موسى: مرجع سابق، ص 85.
- 23- ألبير تيفودجري: إفريقيا الثائرة، تعريب نجدة هاجر، سعيد العز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1960، ص 104.
- 24- زاهر رياض: استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 435.
- 25- طارق أحمد عثمان: عبد الوهاب الطيب البشير، مرجع سابق، ص 103.
- 26- عبد العزيز الكحلوت: مرجع سابق ص 89.
- 27- نفسه ص 103.
- 28- عبد العزيز شلبي: مرجع سابق، ص 109.
- 29- زاهر رياض: مصدر سابق، ص 437.
- 30- ألبير تيفودجري: مصدر سابق، ص 73.
- 31- أحمد طاهر: إفريقيا في مفترق الطرق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د ت، ص 287.
- 32- محمد علي القوزي: في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2006، ص 46.